الذي أوردناه ، وأحاديثَ أخرى منسوبة للرَّسول ﷺ ، منها : « أنا أوَّل النّاس في الخَلْق » و « أوَّلُ ما خَلَق اللّهُ نوري » ، فقد اسْتَنْتَج ابن عربي ومعه كثيرٌ من الصّوفيَّة أنَّه كان لمحمد ﷺ وجودٌ قبلَ وجود الخَلْق ، وقبل وجوده الزّمانيّ في صورة النَّبيِّ المُرْسَل ، وأنَّ هذا الوجود قديمٌ غير حادِثٍ ، وقد عبَّروا عنه بالنّور المحمّدي .

وفي ديوان ابن عربي عِدَّة قصائدَ في المديح النَّبويِّ ، كان تعبيره فيها أكثر سلاسَةً وأقلَّ غموضاً من الأبيات السّابقة يقول في إحداها :[1]

أ لَمْ تَرَ أنَّ اللّهَ أكْرَمَ أحْمَدا ... ونادَى به حتّى إذا بَلَغَ المَدَى
تَلَقَّاهُ بالقُرْآنِ وَحْيًا مُنَزَّلاً ... فكانَ لهُ روحًا كَرِيماً مُؤَيِّدَا
وأعْطَاهُ ما أبْقَى عَلَيْهِ مَهَابَةً ... فأوْرَثَهُ عِلْماً وحِلْماً وسُؤْدُدَا
وأعْلَى به الدِّينَ الحنيفِيَّ والهُدَى ... وصَيَّرَهُ يَوْمَ القيامَةِ سَيِّدا

* * *

ويطول بنا الأمر لو تتبَّعنا مسيرة المدائح النَّبويَّة منذ القرن السَّابع ؛ إذ لا نكاد نلتقي بشاعرٍ في شرق العالم الإسلاميّ أو غَرْبه إلا له فيها مشاركةٌ ، وطالت بعض هذه القصائد طولاً مُفْرِطاً ، فمن ذلك أرْجوزَةٌ ألّفها القاضي أبو عبد اللّه محمّد بن عيسى بن المُناصِف ، القُرْطُبيّ الأصل (المتوفّى في مراكش سنة ٦٢٠) ، بعنوان « الدُّرَّة السَّنِيَّة في المعالم السُّنِّيَّة » ، وتقع في نحو سبعة آلاف بيتٍ من الرَّجَز .[2] ويشير الشَّيخ عبد الحَيِّ الكَتّاني إلى قصيدة أخرى لم يذكر مؤلِّفَها ، بعنوان « مِنْحَة واهِبِ الهِبات البَهِيَّة والصِّلات الفاخِرَة في مِدْحَةِ صاحب الآيات السَّنِيَّة والمُعْجِزات الباهِرَة » ، ويقول إنها

(١) ديوان ابن عربي ، طبعة بومباي الحجرية ، ص ٦٦-٦٧ .

(٢) التكملة لابن الأبّار ، طبعة كوديرا ، مدريد ، ترجمة ٩٦٢ ، والترائيب الإدارية للشيخ عبد الحي الكتّاني ، ج ١ ، ص ٢٤ ، وقد أورد منها مقتطفات في ج ١ ، ص ١٥ .